تطور مفهوم مصطلح "الدين" في الفكر الإسلامي

سيكو مارافا توري

كلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

sekou.toure@mediu.edu.my

الملخص

يجد المدقق أن "الدين" مصطلحٌ من المصطلحات المتداولة في مختلف زوايا الحياة ومجالاتها العلمية المختلفة، ويوجد له ما يماثله من مصطلحات في أغلب لغات العالم إن لم يقل الباحث كل اللغات. يلاحظ أن الناس يستخدمون المصطلح لمعانٍ متباينة، يوسع فيه حينا ويضيق تارة أخرى بحسب السياق أو حسب غاية المستخدم ومراده، ولا ريب أن لذلك انعكاسا في مدلولاته وما سيؤول إليه من حكم ووصف. يضاف إلى هذا أن المدقق في الفكر الإسلامي يقف على اهتمامات مختلفة لمفهوم الدين ما أدى إلى التركيز على ما يفي بالغرض وقت الحاجة إلى بيان مفهومه. لذا، تسعى هذه الورقة إلى تتبع أهم المفاهيم التي أعطيت للمصطلح وتحليل ضابط كل طور. وسيتبع الباحث في سبيل تحقيق ذلك المنهج الاستقرائي في تتبع الأمر، والمنهج التحليلي في دراسة عوامل وضوابط كانت لها الأثر في الميل نحو مفهوم معين. ومن أهم نتائج البحث أن مفهوم الدين في الفكر الإسلامي مرّ بعدة أطوار، والطور هنا بمعناه الفكري لا الزمني، وكان لعامل "حديث الساعة" أثر في تركيز العلماء على جانب ومنظور معين للكلمة.

الكلمات المفتاحية:

مفهوم الدين، الإيمان، الاعتقاد والعقيدة، الفكر الإسلامي.

1.0. المقدمات المنهجية:

1.1. المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، اللهم رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما، وبعد؛

من أهم العناصر المهمة في حقل دراسات الأديان حقيقة الدين ومفهومه، ويبنى عليه من بعد كل الأمور المتعلقة به من باقي العناصر التي يهتم بها علم مقارنة الأديان. حيث يعنى علم مقارنة الأديان بدراسة مفهوم الدين وحقيقته، ودراسة فلسفة الأديان وتاريخ تطورها ثم دراسة جوهر الأديان. ولا شك أن العنصرين الأخيرين متوقفان على العنصر الأول، أو على الأقل لهما علاقة وطيدة به.

وعليه، فإن كثرة التأليف في مفهوم الدين حظي بمكانة جمّة، وتصدى له الكثير من الباحثين وفق ما سيتضح في الدراسات السابقة. وترتب على ذلك تباين مفهوم الدين، إذ إن كل باحث اهتم بزاوية ما لعامل من العوامل.

لعله مما يجدر بالذكر أن للباحث اهتماما بمفهوم الدين منذ أيام مرحلة الدكتوراه، وإن رسالته حملت عنوان: "الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر" ركز فيه الباحث على جوهر ما

يقوم عليه الدين، وطبيعة ما يطلق على التدين ويدخل فيه أو لا يدخل. وبدا للباحث خلال قراءاته إلقاء الفرضية الآتية: هل يمكن القول أن مفهوم الدين في الفكر الإسلامي مرّ بأطوار، يمتاز كل طور عما قبل أو عما بعد، وهل يمكن دراسة ذلك وإيجاد ضابط هذه الأطوار خلال التعريفات الكثيرة المبعثرة هنا وهنالك، والمتباينة بل والمختلفة والمتضادة.

لذا؛ تسعى هذه الدراسة إلى إعادة قراءة المفاهيم التي قدمها علماء المسلمين في أعمالهم العلمية المختلفة حول الدين، والنظر إلى ما أمكن الاتفاق والاختلاف فيها، وهل يمكن أن يقال بأن هذا المفهوم صحيح والآخر لا، أو أن هذا المفهوم هو الأصح رغم صحة ذاك، ما ضابط كل هذا؟

1.2. إشكالية البحث:

تقوم إشكالية هذا البحث على الغموض الذي يقف عليه من أراد أن يقدّم مفهوما واضحا لكلمة "الدين" مستوفيا لشروط التعريف مثل أن يكون جامعا مانعا. ولعل سبب ذاك الغموض هو اختلاف أقوال العلماء في بيانهم للدين بناء على مُنطلقهم في التعريف.

1.3. أسئلة البحث:

تكمن أسئلة البحث في الآتي:

1. ما طور ما قبل التعريف الاصطلاحي للدين في الفكر الإسلامي؟
2. ما طور الاهتمام بمفهوم "الدين" اصطلاحا وحصره في "الإسلام"، في تاريخ الفكر الإسلامي؟
3. ما طور الاهتمام بمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي بما يردّ "العلمانية" في الفكر الإسلامي؟
4. ما طور المفهوم الأكاديمي للعلم من منظور دراسات الأديان في الفكر الإسلامي؟

1.4. أهداف البحث:

يمكن حصر أهداف البحث في الأمور الآتية:

1. بيان طور ما قبل التعريف الاصطلاحي للدين في الفكر الإسلامي.
2. إبراز طور الاهتمام بمفهوم "الدين" اصطلاحا وحصره في "الإسلام"، في تاريخ الفكر الإسلامي.
3. الكشف عن طور الاهتمام بمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي بما يردّ "العلمانية" في الفكر الإسلامي.
4. تحليل طور المفهوم الأكاديمي للعلم من منظور دراسات الأديان في الفكر الإسلامي.

1.5. الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة ذات الصلة بالبحث في تحديد ماهية الدين أو ضبط مفهومه ما يأتي:

أولا: من الدراسات السابقة رسالة الدكتوراه المعنونة بـ "الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر" ركز فيه الباحث سيكو توري على ضرورة التفريق بين الدين والتدين، وحاول تعريف كل منهما ومحاولة التأصيل للأمر. والفرق بين الرسالة وهذا البحث، هو أن الرسالة مجرد سرد للمادة العلمية كخام، بينما هذه الدراسة جاهدت في تحليل المادة العلمية وتقسيمها على أطوار وإيجاد ضابط كل طور! وقد استفاد الباحث من معلومات الرسالة، على أنه لم يكتف بها.

ثانيا: ومما يذكر من الدراسات السابقة كتاب الدين والتدين: التشريع النص الاجتماع، لعبد الجواد ياسين، نشرت الطبعة الأولى منه 2012. حيث سعى فيه الباحث إلى التفريق بين الدين والتدين على أسس فلسفية وأطر منطقية، والفرق بين هذه الدراسة والدراسة السابقة حول الدين والتدين أن التأصيل كان دمجا بين النصوص الدينية والمعقول ولم يك منطقيا أو فلسفيا فقط. والفرق بين دراسة عبد الجواد ياسين وهذه الدراسة

هو أن الباحث هنا يتطرق إلى أكثر من تعريف، ولعل جمعه للمفاهيم مبنية على استقراء، علاوة هلى أن المنهج هناك منهج فلسفي.

ثالثا: ومن الدراسات السابقة أطروحة مفهوم الدين ومظاهر التدين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية، وهي رسالة دكتوراه لزميل للباحث وهو الدكتور مصدق مجيد خان قُدمت إلى الجامعة الإسلامية العالمية.ركز فيه على مفهوم الدين في القرآن، ولم يستقرأ مفهوم الدين، على أن الباحث هنا يتطرق إلى مفهوم الدين في القرآن من حيث تأصيل النظرية.

رابعا: كتاب قصة النزاع بين الدين والفلسفة، لتوفيق الطويل، درس الكتاب إمكانية الجمع بين التفلسف والتدين، وتحدث عن طبيعة العقل البشري وطبيعة المعتقد الديني، وعن العقل والإيمان في فلسفة اليونان والرومان. يجد المتتبع أن مفردات الكتاب عام في النزاع العقلي الفلسفي مع الدين وعوامله، وهو موضوع عام، يدخل في بحثنا من منظور جزئي، مع إضافات أخرى لم يتطرق الكتاب إليها.

خامسا: ومن الكتب في دراسة الدين كتاب علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، للمستشرق جيب، تناول الكتاب النزعة الاعتقادية في دراسة الأديان، وصنف الغزالي وابن تيمية ومحمد عبده والمودودي في هذه القائمة، كما تحدث عن النزعة العلمية، واقتصر في ذلك على ثلاثة مذاهب؛ مذهب علم النفس ومذهب علم الاجتماع ومذهب تاريخ الأديان.

يجد الباحث أن الكتاب مهم في تحديد عنصر الدين وطرق دراسته أو المذاهب التفسيرية له، وذكر شيء عن التدين. مع ذلك تظهر الفروق الجوهرية بين الكتاب والبحث من حيث لب الموضوع .

خامسا: ومن الدراسات السابقة كتاب العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، لإميل بوترو. كتاب آخر يحاول حل لغز العلاقة بين العلم والفلسفة والدين لعامل التطور، متتبعا التاريخ وآراء الرجال. أراد دراسة الأجوبة التي يقدمها كل من الدين والفلسفة حول الإنسان والكون والحياة وبناء حضارة آمنة، فحلل الدين وجعل له عناصر، وحلل العلم وجعل له أصول يعتمد عليه، كما حاول تجلية العلاقة والصلة بين دائرة الدين ودائرة العلم، وهل مصيرهما النهائي هو الوفاق أو الخصام؟

فالكتاب مهم في تبويبه وتصنيفه، وهو قاصر على التفسيرات الغربية لقضايا الدين فقط، وقلما يتناول التدين. وهذا البحث عن الدين والتدين والعلاقة بينهما.

سادسا: ومن الرسائل الجامعية التي وقف عليها الباحث، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب- الآثار- العلاج، لكاتبه عبد الرحمن بن معلا اللويحق، وهو بحث علمي مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، درس المؤلف أسباب الغلو في الدين. ودرس آثار مشكلة الغلو. وحلل علاج مشكلة الغلو في العصر الحاضر.

والكتاب مهم في بيان جوهر الدين، بشرح الدين ما هو وكيف يكون الغلو في وكيف يمكن أن يعالج من منظور الدين نفسه، وهذا يساعد على ضبط جوهر الدين، وإدراك حقيقة الدين، من باب من ضدها تُعرف الأشياء. لكن يبقى الكتاب قاصر في تحديد زاوية ما من زوايا البحث وبالتأكيد لم يتطرق إلى التفريق ولا بيان العلاقة.

سابعا: ومن الدراسات السابقة كتاب The Reconstruction of religious thought in Islam، "إعادة بناء التفكير الديني في الإسلام" لمؤلفه محمد إقبال. والكتاب عبارة عن محاضرات ألقيت في أوقات وأماكن مختلفة وجمعت من بعد في كتاب. يعالج الكتاب أساس قضية إمكانية تجديد الدين وسبيل ذلك.

ثامنا: ومن أهم ما وقف عليه الباحث كتاب وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، لمؤلفه محمد الزحيلي، تناول الكتاب مفهوم الدين، وبواعث التدين الفطرية، وظيفة الدين في حياة الفرد والمجتمع، كما ناقش موضوع الدين والعلم. أقول كتاب رائع لو صح الحكم من الباحثين عليه، والبحث استفاد ويستفيد

منه في مظانه، إلا أنه لم يأت على دراسة موقف التيار العقلاني المعاصر في كتابات حنفي كواحد من الخطابات الإسلامية المعاصر في مصر.

الكتاب له مكانته في بوتقته الفكرية السياسية، غير أن من الفرق بينه وبين هذا البحث هو النداء إلى التفريق بإعطاء مفهوم مستقل لكل وإيضاح الفرق وثمرة التفرقة.

تاسعا: ولعل من أهم ما يذكر من جملة الدراسات السابقة كتاب الدين في عصر العلم، لمؤلفه وحيد الدين خان، حاول تقديم الدين بشكل يفهمه الرجل المعاصر. ويظهر لنا أهمية الكتاب في تناوله اتجاهين مختلفين، وإضافة ما يراه الاتجاه الصحيح، لكن الفرق هو ما عين ما تم ذكره في الدراسات السابقة أعلاه.

عاشرا: وألف محمد عمارة كتبا لها علاقة بموضوعنا، من هذه الكتب كتابه التفسير الماركسي للدين، والكتاب ألف لدراسة آراء نصر أبو زيد وتفسيراته للدين، والرد على تلك الآراء بناء على أنها آراء ماركسية في فهم الدين، وبالتالي خارج عن دائرة الصواب والمنهج المرسوم. فالكتاب جيد في مكانه، إلا أن موضوع البحث أعم وأشمل من جهة، والبحث ليس ردا لكاتب أو فكرة بعينها، بقدر ما هو محاولة إثبات وتأصيل.

ومن جملة ما يذكر في الدراسات السابقة كتاب نقد الخطاب الديني، لصاحبه نصر أبو زيد، ولقد أورد مؤلفه صياغة الدين صياغة جديدة، تتماشى كما يرى المؤلف مع تطورات العصر وتتجاوز حرفيات التراث، انطلق الكتاب من تحليل ظاهرة ما يسمى بالصحوة الدينية، معلقا أنه توجد اتجاهات ثلاثة حول تفسير هذه الظاهرة، وتناول كل اتجاه بدراسة.

وهكذا، فإن الفرق بين كل هذه الدراسات السابقة أنه لم يعن أي منها ببيان مراحل تطور مفهوم الدين، ولم يطرح أي منها ضابط التفرقة وضابط المراحل الفكرية.

1.6. منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع أهم المفاهيم القائمة حول الدين. كما يتطلب البحث التعرض للمنهج التحليلي، في حسن معرفة عوامل تباين التعاريف، وتحليل الأطوار التي أدت إلى التركيز على جانب معين في التعريف.

1.7. هيكلة البحث:

تكمن هيكلة البحث وفقا لأهدافه إلى المحاور الآتية:

1- المحور الأول: الطور الأول: طور ما قبل التعريف الاصطلاحي للدين في الفكر الإسلامي.

2- المحور الثاني: الطور الثاني: طور الاهتمام بمفهوم "الدين" اصطلاحا وحصره في "الإسلام"، في تاريخ الفكر الإسلامي.

3- المحور الثالث: الطور الثالث: طور الاهتمام بمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي بما يردّ "العلمانية" في الفكر الإسلامي.

4- المحور الرابع: الطور الرابع: طور المفهوم الأكاديمي للعلم من منظور دراسات الأديان في الفكر الإسلامي

2. المحور الأول: طور ما قبل التعريف الاصطلاحي:

يقف المتتبع على أن الطور الأول في تاريخ التأليف في الفكر الإسلامي تعامل مع الدين تعاملا لفظيا ولغويا فحسب، ولم يتم تحديد معنى دقيقا للدين، فأطلقت القواميس والمعاجم العربية على الدين –بكسر الدال المهملة– على معان كثيرة جدا، منها ما هو متداخل ومنها ما هو من قبيل المترادفات ومنها ما هو من قبيل إطلاق الكل على الجزء ومنها ما هو من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل، ومنها ما يطلق من اعتبار ما يترتب من أحد معانيه.

فقد سرد الفراهيدي في كتاب العين عدة معان للدين؛[1] منها: الطاعة، وبيّن أن الدِّينُ مفرد جمعه الأديان، وأن الدِّين –الذي بمعنى جزاء–: الجَزاءُ لا يُجْمَعُ لأنّه مصدر. فعلى هذا يخرج الدين

الذي بمعنى الجزاء لغة، لأن الدين الذي نحن بصدده مفرد وله جمع وهو الأديان.[2]

يضاف إلى هذا أن **الفيروز آبادي** ذكر معان عدة للدين، منها: الإسْلامُ، والعادةُ والعِبادةُ والطاعة والذُّلُّ والدَّاءُ والحِسابُ والقَهْرُ والغَلَبَةُ والاستعلاء والسُّلطانُ والمُلْكُ والحُكْمُ والسِّيرَةُ والتَّدْبيرُ والتَّوْحيدُ **واسْمٌ لجميعِ ما يُتَعَبَّدُ الله عَزَّ وجلَّ به** والمِلَّةُ والوَرَعُ والمَعْصِيَةُ والإكْرَاهُ، والحالُ والقضاءُ . وبين أن: "ودِنْتُه أدِينُه": خَدَمْتُهُ وأحْسَنْتُ إليه ومَلَكْتُ.[3]

أما **الفيومي** فقد عرف الدين بأنه العبادة والسيادة والاعتقاد، إذ قال: " (دَانَ) بالإسلام (دِينًا) بالكسر تعبد به و (تَدَيَّنَ بِهِ) كذلك فهو (دَيِّنٌ) مثل ساد فهو (سَيِّدٌ) و (دَيَّنْتُهُ) بالتثقيل وكلته إلى دينه و (تَرَكْتُهُ وَمَا يَدِينُ) لم أعترض عليه **فيما يراه سائغا في اعتقاده** و (دِنْتُهُ) (أَدِينُهُ) جازيته."[4] فمن دان بالإسلام فهو مؤمن به ومعتقد به، فالمعنى اللغوي الذي يهمنا لكلمة الدين هو الاعتقاد والإيمان.

وأما **ابن منظور** في اللسان فقد ذكر كل المعاني التي أتى بها الفيومي و الفيروز آبادي والفراهيدي، فذكر أن من معاني الدين الجزاء والمكافأة، والحساب، والطاعة، والخضوع، والإسلام، والعادة والشأن، والطاعة والتعبد، والنظام والقانون...[5]

وصرح **ابن فارس** في معجم مقاييس اللغة أن الدين جنس من الانقياد والذل وهو الطاعة وما في معناه، يقول في ذلك: " (دين) الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. **فالدِّين: الطاعة،** يقال دان له يَدِين دِيناً، إذا أصْحَبَ وانقاد وأطَاعَ. وقومٌ دِينٌ،."[6]

وما سبق سوقه من معاني الدين هو عين ما ذكره **الرازي** في مختار الصحاح، إذ بيّن أن الدِّينُ بالكسر العادة والشأن والدِّينُ أيضا الجزاء والمكافأة والدِّينُ أيضا الطاعة تقول دَانَ له يدين دِيناً أي أطاعه ومنه الدِّينُ والجمع الأَدْيَانُ، ويقال دَانَ بكذا دِيَانَةً فهو دَيِّنٌ و تَدَيَّنَ به فهو مُتَدَيِّنٌ و دَيَّنَهُ تَدْيِيناً وكله إلى دينه[7].

وعلى هذا المعنى ذهب أصحاب المعاجم المعاصرة، حيث بنوا تعريفهم للدين على القواميس القديمة. جاء في المعجم الوسيط: " (دان)دينا وديانة خضع وذل وأطاع ويقال دان له وله منه اقتص وبكذا اتخذه دينا وتعبد به فهو دين...(الدين) الديانة واسم لجميع ما يعبد به الله والملة والإسلام والاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان والسيرة والعادة والحال والشأن والورع والحساب والملك والسلطان والحكم والقضاء والتدبير. أدين وديون وأديان ويقال قوم دين أي دائنون."[8]

لقد اتضح أن الدين في القواميس العربية والذي يمثل الطور الأول في التعامل مع مصطلح الدين لم يك يطلق على أمر محدد بعينه، إنما أطلق على جملة أمور. السؤال الذي يطرح هنا هو لماذا أطلق الدين على كل هذه الأمور، وهل يوجد بينهما قواسم مشتركة تكون العمدة والضابط في تعريف الدين؟

أجل، يرى الباحث أن معظم ما عرف الدين به في هذا الطور هو من لوازم الإيمان مطلقا، إذ بعد الإيمان بشيء ما أو بذات ما يصح بقية المعاني من الخضوع له وطاعته، ومن عبادته واتخاذ ذلك منهج حياة وعادة. وعليه فإن ضابط مفهوم الدين في هذا الطور هو العقيدة أو الإيمان وما يترتب عليه، فالدين في هذا الطور هو العقيدة وهو الإيمان.

وعليه يمكن القول أن مفهوم الدين في الطور الأول تمثل في الإيمان وهو الاعتقاد –والإيمان والاعتقد بمعنى هنا–، إذ الطاعة والخضوع ثانوية عن الأصل الذي لا بد أن يسبقه ذهنيا وفعليا، والطاعة والخضوع متراخ ومتأخر عن الإيمان.[9]

3. المحور الثاني: طور الاهتمام بمفهوم "الدين" اصطلاحا وحصره في "الإسلام":

أطلق علماء المسلمين في هذا الطور مصطلح الدين على الإسلام خاصة؛ للأسباب الآتية بعد إدراك حقيقة هذا الطور. يقول الفخر الرازي –أحد أعلام الفكر الإسلامي، وإمام القرن السادس الهجري، وهو أول من حاول تعريف الدين تعريفا

اصطلاحا وفق اطلاع الباحث: "إن الدين المطلق في اصطلاح أهل الإسلام والقرآن هو الإسلام قال الله تعالى إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ. أما سائر المذاهب فلا تسمى ديناً إلا بضرب من التقييد كدين النصارى واليهود وثانيها أن يقال هذه المقالات الباطلة ليست بدين لأن الدين هو الخضوع لله وهذه المذاهب إنما هي خضوع للشهوة أو للشبهة".[10]

لعل من الصعب تتبع كل التراث الإسلامي في هذا، لكن استعمال مصطلح "الدين" في هذا الطور على الإسلام دون غيره واضح في مؤلفات علماء المسلمين الحاملة لعنوان أصول الدين، ومنها ما ألفه أبو محمد ابن حزم الظاهري (من 384 إلى 456) في القرن الرابع الهجري أو الخامس، بعنوان: **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين**. فقطعا الدين هنا هو الإسلام، وألف نخبة من العلماء في أصول الدين وسموا كتابه بذلك، منهم البغداي له **أصول الدين**، والجويني (ت478)، له **الشامل في أصول الدين**، وفخر الإسلام البزدوي، له **أصول الدين**، والرازي (ت705) فله **كتاب الأربعين في أصول الدين، وكتاب الخمسين في أصول الدين** . والدين في هذه المؤلفات يقصد به الإسلام. أي أصول الاعتقاد بدليل أن بعضهم يؤلف في نفس الموضوع بمسمى الاعتقاد ومن ذلك الغزالي (506) إذ ألف **الاقتصاد في الاعتقاد**. كما ألف الرازي في ذلك **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**.

يضاف إلى ما سبق أن التعريف الإصطلاحي للدين من منظور الإسلام، والذي اشتهر في أوساط المسلمين هو تعريف الإمام الرازي، إذ لم يقف الباحث على من سبقه بذكر هذا التعريف، والذي ينقله الكثيرون من غير عزوٍ إليه، فقد عرف الدين مرادفا للإسلام، إذ ذكر أن: " الدين وضع إلهي سائق لأولي الألباب إلى الخيرات باختيارهم المحمود".[11] فالدين هنا هو الإسلام.

ويجد المدقق التعريف نفسه في القرن الثامن، حيث كرّر **عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري** (730هـ)، شارح أصول البزدوي –كتاب أصول الفقه الشهير والمعروف على طريقة الأحناف حيث كتب في القرن الرابع–، التعريفَ نفسه بشيء من التعديل، إذ عرف الدين بالإسلام قائلا: "والدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات".[12] فهو تعريف الرازي السابق بتعديل وتصرف. ولقد رأيت التعريف مكررا عند أحد علماء الحنفية في القرن الحادي عشر، **وهو عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده** (1078هـ)، حيث قال "الدين منسوب إلى الله تعالى لأنه وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو من عند الرسول".[13]

وجاء التعريف نفسه من بعد عند الكفومي في **الكليات**، وهو أيضا من أعلام القرن الحادي عشر، حيث عرف الدين: "الدين بالكسر في اللغة العادة مطلقا وهو أوسع مجالا يطلق على الحق والباطل أيضا ويشمل أصول الشرائع وفروعها لأنه عبارة عن وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيا كان أو قالبيا كالاعتقاد والعلم والصلاة..".[14] وانظر كيف عرفه لغة وبين أنه يطلق على الحق والباطل، ثم عدل إلى التعريف الإسلامي الخاص.

السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا تم تعريف الدين تعريفاً اصطلاحيا في هذا الطور بمرادفته للإسلام، علما أن مفهوم الدين في الطور الأول كان أوسع من مجرد إطلاقه على الإسلام؟ لعل الجواب هو الدين المتعارف عليه عند المسلمين هو الإسلام، وبدخول أل التعريف على مادة دين جعلته يكسب فهما معينا. ولعل هذا ما يبينه محمد عبد الله الشرقاوي؛ إذ ذكر أن معاجم اللغة العربية قد جمعت وصنفت في ظل سيادة الفكرة الإسلامية على عقول وألسنة العرب معاً، ومن ثم فهي تسجل أو تصور التعبير اللغوي عن الفكرة الإسلامية عن الدين.[15]

ومن هنا يقف المطلع على من يعرف الدين لغة بما هو أشمل من الإسلام ومن ثم يعرفه اصطلاحا مرادفاً للإسلام. ولو تم أخذ **الفخر الرازي** (455–506هـ) في القرن السادس الهجري عينة ونموذجا على سبيل المثال لاتضح المراد. عرف الدينَ لغة بقوله

وهو في معرض شرح إن الدين عند الله الإسلام: "المسألة الثالثة أصل الدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة تسمى ديناً لأنها سبب الجزاء". وقد ذكرنا آنفا أن الدين بمعنى الجزاء ليس هو المراد لقول الفراهيدي أن ذلك مصدر لا يجمع، ثم قال بعد أسطر: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ يقتضي أن يكون الدين المقبول عند الله ليس إلا الإسلام"[16] فوصْفُ الدين بالمقبول موحٍ إلى وجود دين واعتقاد غير مقبول فاقتضى التقييد وإلا لم يجز وكان الكلام عبثا؛ وانظر كيف استخدم الرازي نفسه كلمة الدين بمعناه العام دون الخاص وهو يشرح آية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت: "والخطاب مع أهل الكتاب كأنه تعالى قال لهم فيما كانوا يزعمون من أن **الدين** الذي هم عليه دين الرسل كيف تقولون ذلك وأنتم تشهدون وصايا الأنبياء **بالدين** ولو شهدتم ذلك لتركتم ما أنتم عليه من **الدين** ولرغبتم في دين محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي هو نفس ما كان عليه إبراهيم عليه السلام ويعقوب وسائر الأنبياء عليهم السلام بعده".[17].

وبالجملة فإن علماء المسلمين في هذا الطور عنوا بالدين اصطلاحا الإسلامَ، فهو مرادفه عندهم، إذ هو أيضا اعتقاد وإيمان. وهو ما تعارفوا عليه، لا يمنع أبدا إرادة المعنى اللغوي الموضوع له، وتقديم ذلك التعريف ابتداءً، وهو ما تم بيانه في الطور الأول.

حصيلة ما تم بيانه عن الدين في الطور الأول والثاني هو:

- مفهوم الدين هو الإسلام. ويعبر عنه أحياناً بالشريعة. وهذا ما تم التركيز عليه في الطور الثاني.
- مفهوم الدين هو مطلق الاعتقاد ويرمز له بأحد لوازمه إما الطاعة أو العبادة أو الانقياد أو الخضوع. وهذا ما تم التركيز عليه في الطور الأول.

أخيرا لعله من الصعب ضبط الطور الثاني بمرحلة زمنية معينة، لأن عمدته الفكر وليس التوقيت. لذا يقف المتتبع على أن في عصرنا من يتبنى مرحلة الطور الثاني في بيانه لمفهوم الإسلام. ولم يختلف موقف علمائنا كثيرا عن أسلافهم في هذا الشأن، فهم أيضا يعرفون الدين غالبا بالإسلام، ومن هنا تأتي إشكالات في الفكر الإسلامي المعاصر أحيانا من مثل: مسألة إطلاق كلمة الدين على غير الإسلام، أو دراسة مقارنة الأديان؛ إذ يقال أن لا مقارنة فالدين هو الإسلام، أو في قضية إطلاق الأديان السماوية على غير الإسلام، لسنا بصدد معالجة هذه القضايا، وإنما يشير الباحث فقط إلى أن من أسباب هذه الإشكالات التعريف الخاص للدين الذي نريد أن نجعل منه عاما.

سيورد الباحث تعريف الدين عند ابن عاشور كعينة من علماء المسلمين حديثا، حيث يذهب إلى أن حقيقته مفهوم الدين في الأصل الجزاء، ثم صار حقيقة عرفية يطلق على: مجموع عقائد، وأعمال يلقّنها رسولٌ من عند الله ويعد العاملين بها بالنعيم والمعرضين عنها بالعقاب. وبين أنه سمّي الدين ديناً لأنّه يترقب منه مُتَّبِعُهُ الجزاءَ عاجلاً أو آجلاً.. إلى أن ذكر أن العلماء قد عرّفوا الدين الصحيح بأنّه (وضعٌ إلهيٌّ سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخيْر باطناً وظاهراً).18 فعرف الدين متأثرا بما اقتبسه من تعريف الدين لدى علماء المسلمين. وقد سبق التعليق على مثل هذا!

4. المحور الثالث: طور الاهتمام بمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي بما يردّ "العلمانية":

يجد المتتبع أن علماء المسلمين اهتموا بالدين ليواجهوا به لب الحضارة الغربية المعاصرة، والقائمة على الحداثة والعلمانية. ارتكز الطور الأول في مفهوم الدين على الدلالة اللغوية، وارتكز الطور الثاني على الدين الشائع والمعروف لدى علماء المسلمين الذين كتبوا للمسلمين وعن الإسلام، والجامع بين الطورين هو أن الاثنين تطور في ظل سيادة الحضارة الإسلامية وفي ظل الفكر الإسلامي. هذا الطور اتسم بأنه كتب في ظل الاستعمار وفي ظل حضارة غير إسلامية.

يقف المدقق على كثرة أعمال المسلمين في رد العلمانية وبيان شمولية الإسلام وكامله، لكن الذين عنوا بذلك من منظور تعريف الدين معدودون، ولعل المودودي أول من حاول تأصيل مصطلح الدين، من منظور الإسلام –وعمله يحتاج متابع ومستكمل–، حيث وضع كتابه المعروف بـ المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، وتناول مصطلح الدين كواحد من هذه المصطلحات الأربعة.

قام المودودي بتعريف الدين أولا من المعاجم والقواميس العربية فخلص إلى أن كلمة الدين قائم بنيانها على معان أربعة، أو بعبارة أخرى هي تمثل الذهن العربي تصورات أربعة أساسية.

أولها :القهر والغلبة من ذي سلطة عليا.

والثاني :الإطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذي السلطة.

والثالث :الحدود والقوانين والطريقة التي تتبع.

والرابع :المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب. وذكر أن كلمة الدين كان مشوباً بشوائب اللبس والغموض، ولذلك لم يتح لها أن تكون مصطلحاً من مصطلحات نظام فكر متين، حتى نزل القرآن فوجد هذه الكلمة ملائمة لأغراضه؛ فاقتناها واستعملها لمعانيه الواضحة المتعينة، واصطنعها مصطلحاً له مخصوصا.[19]

ومن ثم عرفه اصطلاحاً بقوله: كلمة الدين في القرآن تقوم مقام نظام بأكلمه، يتركب من أجزاء أربعة هي:

1. الحاكمية والسلطة العليا.
2. الإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة.
3. النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية.
4. المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والإخلاص له أو على

التمرد عليه والعصيان له.

وبين أيضا أن القرآن يطلق كلمة الدين على معنييها الأول والثاني تارة، وعلى المعنى الثالث أخرى وعلى الرابع ثالثة، وطوراً يستعمل كلمة الدين ويريد بها ذلك النظام الكامل بأجزائه الأربعة في آن واحد[20].

يرى الباحث أن ما قام به المودودي جهد طيب، ولم أقف على من سبقه في هذا، إلا أن استقراءه لآي القرآن لم يكن تاما. كما أنه ركز على المفهوم الخاص للدين، فكان ينظر إلى الدين غالبا نظرة إسلامية، فهو يرى أن الدين هو الإسلام، بل ويركز على نقطة الحاكمية كَلُب الإسلام، وهو معروف بهذا وفقاً لما عاين من العلمانية. وقد سبق التعليق مراراً على تفسير الدين بهذا المعنى في الطور السابق.

وما قام به الأتاس قريب جدا من هذا، حيث بين أنه يمكن حصر معاني الدين في أربعة:

- المديونية (Indebtedness). ولعل هذا ما عبر عنه المودودي بالقهر والغلبة أو الحاكمية.
- الخضوع أو الاستسلام: (Submissiveness) ويرادفه الإذعان عند المودودي.
- حق التقنين، أو قوة الحكمية (Judicious Power). ويقرب منه النظام الفكري للحكم، أو الحدود والقوانين عند المودوي.
- الميل الطبيعي إلى هذا الأمر. أو حب الأمر والرغبة فيه (Natural Inclination or Tendency).

وحقيقة الدين عند الأتاس هو أنه نظام عام يشمل الدنيا والآخرة، يهتم بالفرد والجماعة، ويعم جوانب الحياة كلها؛ اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، ولا يمكن الفصل بينه وبين الدنيا كما يريد الغرب.[21]

أما الدين عند محمد حسين الذهبي، ومحمد الزحيلي، ومحمد عبد الله الشرقاوي، فيمكن القول على عجالة أن تعريف الدين عند هؤلاء الثلاثة لم يخرج كثيرا عن عمل المودودي ودراز، ولعله تلخيص وتنقيح لما قدّما، وهذا واضح في كتبهم ويشيرون إلى ذلك.[22]

وهكذا ركز هذا الطور على موقف الإسلام من العلمانية وكان ذاك ضابط هذا الطور في تقديم مفهوم الدين. ومعلوم أن الأتاس أولى اهتماما كبيرا في بيان زيف العلمانية، والقضاء على أباطيلهم. ومن هنا فهو في كتاباته يكاد يحصر مفهوم الدين في الإسلام. وهو قريب الصلة جدا بأعمال المودودي. وليس هذا منقصة أبدا؛ فهو اهتم ببيان الفكر الإسلامي وسعى إلى ذلك أكثر من تقديمه لمفهوم واضح للدين يظلل أديان العالم كلها.

5. المحور الرابع: طور المفهوم الأكاديمي للعلم من منظور دراسات الأديان:

هدف علماء هذا الطور إلى تعريف الدين تعريفا أكاديميا ويكون جامعا ومانعا. ورأوا أن بهذا يستفاد من الأطوار السابقة، ويعمل بكل منها في محلها، وتعريف الدين في هذا الطور ليس حكرا على جمع كل ما يترتب من الدين ويكون من مستلزماته، فلا يعرف الدين أكاديميا بالطاعة، أو الشأن أو العادة والخضوع من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل كما كان الحال في الطور الأول، لكن هذه الأمور كلها مهمة لبيان طبيعة الدين نفسه، لأنها تمثل العناصر المختلفة التي يقوم عليها الدين. ولا يعرف الدين أيضا أكاديميا في علم دراسات الأديان بحصره في دين واحد أيا كان هذا الدين، كما لا يضيق مفهوم الدين أكاديميا بالصحة والبطلان. يفترض تعريف الدين بوصفه مصطلح موضوع لكل الأديان القائمة، يدل عليها بمجرد الإطلاق، ويعرف دين معين من بعد بما عرف به من معتقدات وباقي عناصر الدين كما يؤمن أتباعها.

لعل ما قام به دراز يُعدّ من أهم التطورات في حقل تعريف الدين في الفكر الإسلامي بعيدا عما عهده المسلمون من تفسيره بالمعنى الخاص–ولأهمية كتابه ينقل الكثير عنه مفهوم الدين، فلعله قليلٌ من كتب بعده في مفهوم الدين دون الرجوع إليه، حتى ليظن البعض أن لا إضافة في تعريف الدين بعده–، وإن كان هو بدوره لم ينفك عن المعاني المعجمية للدين ولم يربطها برباط واحد، ولو فعل هذا لقال إن الدين هو الاعتقاد وما يتفرع عنه. أضف إلى هذا أن تعريفه الاصطلاحي للدين ارتكز في درجة كبيرة على التعريف الغربي للدين، إذ أورد تعريفا واحد للدين من منظور الإسلام –دون عزو– بعبارتين مختلفين هو التعريف الذي سبق ذكره عن علمائنا قديما، ومن ثم سرد أربعة عشر تعريفا –بالعزو الكامل– عن مفهوم الدين في الفكر الغربي. ومن ثم توجه إلى بعض ما يؤاخذ عليه كل تعريف، وفي النهاية خرج بتعريفه المعروف للدين.

في تعريفه اللغوي للدين ذكر ما نقلناه في الطور الأول، ورأى أن المادة (دين) كلها تدور على معنى لزوم الانقياد، فإن الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو **المبدأ الذي يلتزم الانقياد له**... ثم ذكر أن ما يهمنا في هذه الاستعمالات هما الاستعمالان الأخيران، وعلى الأخص الاستعمال الثالث. وبيّن أن كلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير، الحالة النفسية التي نسميها التدين، والحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة[23]

ونجد أن دراز هنا يرى الترادف بين مفهوم الدين والتدين، كما أنه يرى المساجد والمعابد والآثار الخارجية دينا بناء على تقديمه معنيين للدين في تاريخ الأديان، وهذا غريب؛ لعله وقف عليه في تعريف الغربيين للدين، فهم يوسعون النطاق أكثر مما ينبغي كما أن الحال عندنا التضييق أكثر مما ينبغي.

ثم أعقب بأن المعنى اللغوي غير كفيل لرسم حقيقة واضحة كافية كما هي في عرف الناس واصطلاحهم، ويرى الكاتب أن المعنى

الثالث الذي أتى به هو جوهر الدين وهو التفسير المناسب للدين لا غير، وهو **المبدأ الذي يلتزم الانقياد له** كما تم بيانه، وهو ما عبر عنه الباحث بالاعتقاد أو الإيمان.

ومن ثم نقل التعريف الإسلامي الخاص للدين، ونقل تعريفات غربية كثيرة للدين؛[24] سعيا للخروج بمفهوم واضح عن الدين، فانتهي إلى أن الدين هو: "الاعتقاد بوجود ذات – أو ذوات غيبية– لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد". هذا تعريف الدين بمعنى التدين، فيكون الدين والتدين من المرادفات، وعرفه بعبارة موجزة هي: "الإيمان بذات إلهية، جديرة بالطاعة والعبادة". وعرف الدين باعتباره حقيقة خارجة فقال: "هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها".[25]

نجد أن الصلة اللغوية التي عمل عليها دراز مفتقد في تعريفه الاصطلاحي، ولعله ركز على التعريفات الغربية في استنباط تعريف جديد، مما أخفى الطابع العربي، ويمكن القول أن تعريفه الأول طويل ويصلح أن يكون شرحا لا تعريفا. كما أننا نريد تعريفا واحد يجمع مسمى الدين دون تعريفين منفصلين.

فهدف مفهوم الدين في هذا الطور إلى ما يخدم علم دراسات الأديان، ويتيح فرصة تسمية كل ما هو قائم على معتقد اسم دين لا من منظور الصحة والبطلان، ولا من منظور الدفاع والجدل والحجاج، بل من منظور الوصف والبيان ومن منظور مسمى "الموضوعية" وتجميد الحكم.

وعليه فإن الدين في هذا الطور وفق ما يذهب إليه الباحث هو: الاعتقاد المصاحب للتقديس، وما يترتب عليه هذا الاعتقاد من سلوك. وهذا يقود بالباحث إلى الحديث عما يترتب على الاعتقاد من تصرف وسلوك؛ وهو ما يطلق عليه التدين. ولعل الباحث يخصص ورقة أخرى لبيان التدين وصلته بالأطوار السابقة، وعلاقته بالدين، وثمرة التفرقة بين الدين والتدين وغيرها من القضايا المتعلقة بالتدين.

فالإسلام دين بمعنى اعتقاد يتفرع من هذا الاعتقاد أشياء من لوازم الاعتقاد. والنصرانية دين ينبني على الإيمان به أمور هي من لوازم الإيمان بها وهلم جرّا..

وهذا واضح في كتب علماء مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي. كما أن الذهبي عرفه بالإيمان، بعد أن قدم له تعريف علماء الأديان، فذكر أنه قد عرفه بعضهم بأنه: " وضع إلهي سائق لذوي العقول – باختيارهم إياه – إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال " ونسب التعريف إلى دائرة المعارف للبستاني، وعلق بأن معنى هذا، أن لفظ الدين عند هؤلاء، لا يتناول إلا الأديان السماوية: كاليهودية والمسيحية والإسلام، أما غيرها من الأديان التي اصطلح عليها بعض الناس دون أن يكون لها صلة بالسماء، فليست دينا في نظرهم.

ونقل تعريفا آخر نسبه إلى فريق آخر من العلماء: وهو " عبارة عن الإيمان والعبادة مهما كانا، فإيمان الوثنيين دين. أو هو عبارة عن الإيمان بقوة أو قوات سائدة تحكم الأرض، وعن عبادة تلك القوة أو القوات، فيقال: دين حق، ودين باطل " ونسب هذا أيضاً إلى دائرة المعارف للبستاني. ثم أتى برأيه الذي نصه" والواقع أنه لا خلاف بين الفريقين: فالفريق الأول نظر نظرة خاصة، والفريق الثاني نظر نظرة عامة، ونحن في بحثنا عن الدين والتدين كظاهرة اجتماعية لا نقصد المعنى الخاص، لا موسعا بحيث يشمل الأديان السماوية كلها، ولا مضيقا بحيث يقتصر على الإسلام وحده، وإنما نقصد المعنى العام الذي يشمل الأديان كلها: سماويها وأرضيها."[26]

ولعل هذا يشهد لما ذهب إليه الباحث، يضاف إلى هذا أن هذا الكلام يكاد يتفق مع آراء كثير من الباحثين من علماء مقارنة الأديان لدى تعريفهم للدين، فمثلا يذهب إميل دروكايم

Emile Durkheim (1858 – 1917): إلى أن الدين هو منظومة الإيمان والشعائر التطبيقية، ذوات الصلة بالقداسة، لها تجمُّع يقال له الكنيسة. يعرف الحلال والحرام.[27]

و نجد أن بول تليخ **Paul Tillich (1886 – 965):** يعرف الدين مرادفا للإيمان وبين أن ذلك: هو الغاية القصوى. فالدين أو الإيمان هو الغاية الأسمى والمقدس، الذي ليس فوقه غاية. وهو الذي يحدد الغايات الأخرى.28

ولعل تعريف الدين بالإيمان مقبول، وهو ما يتبناه هذا البحث؛ اللهم إلا أن ثمة إشكالات قد تتولد؛ وهي في كون التعريف غامضا في بقية جزئياته، في عدم تحديد هذه الغاية الكبرى، أو فضفاضا في إمكانية إدخال أي شيء فيه، وكونه نسبيا، على أن المرء قد يتغير حاله بناء على تغيير الغاية الكبرى عنده. والتعريف بشكل عام –بعيدا أن هذه الإشكالات الطارئة– مقبولٌ.

أما ويلفريد كانتويل سميث **Wilfred Cantwell Smith (1916–2000):**

فقد كرس كتابا كاملا للخروج بمفهوم يجمع حقيقة الدين، فبين أن المصطلح تطور على فترات من الزمن، وصاحب تلك التطورات للكلمة تطوراتٌ في دلالاتها واستخداماتها، علاوة على أن الاستخدام المعاصر للكلمة إطلاق من خارج الأديان "الخارجيون" (Outsiders) ما عدا الإسلام، الذي له وضع خاص، فهو الدين الذي أطلق اسمه على نفسه في كتابه –القرآن الكريم–.[29]

ورأى في النهاية أن مفهوم الدين هو الإيمان أو التقاليد المتراكمة. واقترح مصطلح الإيمان faith or belief، بدلا من الدين Religion.[30]

ولعل تعريف الدين بالإيمان بغض النظر عن طبيعة هذا الإيمان أو الإيمانيات؛ مقبول في البداية، إلى درجة ما، درجة تصفو الدين عن غيره، دون مغالطة ودون نزع عنصر القداسة أو النظر إليه على أساس التقديس ابتداءً. فعندنا أولا الإيمان أو العنصر الذي يحدد قوام الدين وعندنا غير ذلك وهو التقاليد المتراكمة. وقد علق أنيس مالك طه في كتابه التعددية الدينية: رؤية إسلامية على تعريف سميث، مبينا أن الذي نسميه الدين اليوم وفقا لما يذهب إليه سميث هو الشيء المجرد الذي يعتبره الناس من خلال نافذة النظر عندهم أو نظارة الإبصار لديهم، ويطلقون عليها اسم الدين؛ على أنها مجموعة منظمة من الاعتقادات المتجددة المتطورة بين وقت وآخر.31 وأرى أن ما جعل سميث يقوم بمثل هذا هو عدم التفرقة بين الدين والتدين. وهذا ما نحن بصدده. وهو شيء متفق عليه ضمنيا وبدهيا، لكن لم يكرس ويبين. فعنصر الدين هو الإيمان وهذا ما يريده سميث، ولعل هذا ما جعل أنيس مالك يعلق ب" نافذة أو نظارة فكرية ثقافية معينة".32 وعنصر التدين: هو الفهم البشري أو الجانب العملي بعد ثبوت طريقة معينة للنظرة أو نافذة الرؤية، أو الجزء التشريعي، ولعل هذا الذي عبر عنه سميث ب متطورة أو التقاليد المتراكمة.

ويبين البوطي أن المعنى الإسلامي يتكون لدى المسلم بالعقيدة الصحيحة، وأن العقيدة هو الأساس الأول الذي لا بد منه، بل يرى أنه يصح أن يطلق الدين على العقيدة وحدها، إذ هي أساس الأمر كله، ويقول: "ولا يشترط لصحة هذه التسمية أن يكون ذلك مصحوبا بسلوك عملي في شؤون العبادة أو سائر الأحكام الشرعية الأخرى، وإن كان التقصير في شيء منها موجبا للفسق ومعرضا بناء العقيدة نفسها للزلازل".[33]

بل وإن المدقق يجد في تعريف محمد عبد الله دراز للدين حقيقة ما ذُكر. "الاعتقاد بوجود ذات – أو ذوات غيبية– لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد".

فعندنا اعتقاد أي دين، وعندنا مناجاة أو خضوع وتمجيد، وهو التدين. حيث لا مناجاة ولا تضرع ولا خضوع دون إيمان أو دين. ونجد الأمر نفسه في تعريفه الآخر: "هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها".[34] فعندما هنا أيضا أولا النواميس النظرية وهو الدين وهو الإيمان كما عبر سميث ونظارة أو نافذة الروية كما أشار أنيس مالك. وعندنا في تعريفه الثاني أيضا: "ترسم طريق عبادتها" وهو التدين هنا، وقد يكون هو الجانب المتطور أو الثقافة المتراكمة عند سميث.

ففي هذا الذي رأينا من علماء مقارنة الأديان التشابه في كون الدين له منطلقات وأبعاد، البعد الإيماني العقدي الفلسفي، الذي يحدد الأسئلة الكبرى في حياة الإنسان، ومن ثم تتبع الأبعاد الأخرى من مثل الشريعة أو القانون أو الكنيسة، وهذا ما يريد البحث لفت الأذهان إليه في هذه الكتاب؛ ليس إلا.

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله أولا وآخر، والصلاة والسلام على آخر رسل الله. وبعد، فقد كان هذا البحث في محاولة استجلاء الأطوار الفكرية التي مرت عليه مفهوم "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي، مع بيان عوامل وتداعيات ذلك. ولذكر نتائج البحث يرى الباحث أنه قد تباين موقف العلماء في بيان مفهوم الدين، ونظر إليه كل من منظور واعتبار معين، وبذلك يصلح القول أنه مرّ مفهوم الدين بأطوار فكرية عديدة. من أهما ما سيذكر في نتائج البحث. ومن أهم النتائج ما يأتي:

1- مثل الطور الأول طور ما قبل التعريف الاصطلاحي للدين في الفكر الإسلامي. حيث لم يعن بتعريفه وفق الشروط المنطقية للحد، إنما من حيث البنية اللغوية، فأتى المفهوم عاما وواسعا.

2- وجاء الطور الثاني باسم طور الاهتمام بمفهوم "الدين" اصطلاحا وحصره في "الإسلام"، في تاريخ الفكر الإسلامي. إذ عني برسم صورة اصطلاحية لمصطلح الدين وما يتضمنه، فحصر العلماء مفهوم الدين في الإسلام، ولعل السبب في ذلك هو التعريف أتى لمخاطبة المسلمين في ظل سيادة الحضارة الإسلامية، وكان أغلب العلماء يخطبون المسلمين في تأليفاتهم.

3- وتمثّل الطور الثالث في طور الاهتمام بمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي بما يردّ "العلمانية" في الفكر الإسلامي. ارتكز هذا الطور على

محاربة العلمانية وبيان أن الإسلام دين ودولة، فبني مفهوم الدين على ذلك.

4- والطور الرابع والأخير من أطوار تطور مفهوم الدين في الفكر الإسلامي هو طور المفهوم الأكاديمي للعلم من منظور دراسات الأديان في الفكر الإسلامي. حيث اهتم بالمصطلح ليقدم تعريفا أكديميا للدين. فدخل فيه الإسلام كما يدخل فيه غيره من الأديان، من حيث أنه مصطلح موضوع لمنظومة اعتقادية معينة، ولعل السبب في ذلك هو أن الغاية في التعريف اختلف عما ذي قبل.

وهكذا فإن كل طور تميز عن ذي قبل بمرحلة فكرة معينة بناء على الإشكالية القامة ورؤية العالم الذي قدّم تعريفا، وعليه، لا يصح رمي أحد التعاريف بالخطأ، إنما ينظر إلى كل تعريف في سياقه.

المصادر والمراجع:

[1] أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د,ت) ج8، ص78.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، نسخة مصورة عن ط3 للمطبعة الأميرية 1400،1302هـ)، ج4، ص221.

[4] أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير** (القاهرة: المطبعة الأميرية، ط5، 1992)، ج1، ص205.

[5] انظر: محمد بن مكرم ابن منظور، ، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت) ج13، ص 164.

[6] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة** تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1979)، ج2، ص319.

[7] بتصرف: انظر: محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الجديدة، 1995). ج1، ص218.

[8] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط** (الإسكندرية: دار الدعوة، ط4، 2003). ج1، ص307.

[9] انظر: سيكو توري، **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2013.

[10] لمرجع نفسه، ج32، ص105.

[11] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج29، ص273.

[12] عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997). ج1، ص13.

[13] عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، خليل عمران المنصور (بيروت: درا الكتب العلمية، 1998). ج1، ص11.

[14] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998). ج1، ص694.

[15] محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان** (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 2002). ص10.

[16] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج7، ص181. وهو تخريج الفقرتين أعلاه.

[17] المرجع نفسه، ج4، ص68.

[18] محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: دار سحنون، 1997)، ج 3، ص 189.

[19] أبو الأعلى المودودي، **المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم** (لاهور: مجلة ترجمان القرآن، ط1، 1360هـ). ص67 فما بعد.

[20] المودودي، **المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم**، ص67.

[21] See: Syed Muhammad Naquib al-Attas, Prolegomena to the Metaphysics of Islam (Kuala Lumpur, International Institute Of Islamic Thought And Civilization, 1995). 41- 89.

[22] انظر: محمد حسين الذهبي، **الدين والتدين** (السعودية: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول، 1395)، المقالة كلها؛ الزحيلي، **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه**، ص12 فما بعد؛ الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص9–11.

[23] محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** (الكويت: دار القلم، 191952). ص30.

[24] التعريفات المنقولة كلها نظر إلى الدين باعتبار، وكلها مهمة، لكن يفضل الباحث تعريفا يجمع كل الأديان، انظر التعريفات في: المصدر نفسه، ص33– 36.

[25] النظر التعريفات جميعا في: المصدر نفسه، ص51.

[26] الذهبي، **الدين والتدين**، ص2.

[27] Emile Durkheim, The Elementary Forms of Religious Life (New York: Free Press, 1995). Pp. 45.

[28] Paul Tillich, Dynamic of Faith (New York: Harper, 1958). 1- 11.

[29] انظر في هذا مناقشة الفاروقي لسميث في مقالته:

Al- Faruqi, Ismail R. The Essence of Religious Experience In Islam. Journal of Numen, vol xx, fasc. P. 2.

وفي استخدام الفاروقي لفظ *Essence* دلالة على ما نحن بصدده. حيث أنه يرى في نفس المقالة أن *Essence* هو الجانب التوحيدي، أو ما يدرس في علم التوحيد أو العقيدة. وأن غير *Essence* هو الجانب العملي التشريعي، وهو ما اهتم به المسلمون باسم الفقه. على أن لل *Essence* علاقة بلا شك بغير *Essence*. وهو باختصار ما زلنا ندور حوله من: الدين والتدين. فالدين هو *Essence* والتدين الجانب العملي التطبيقي.

[30] See: Wilfred Cantwell Smith, *The Meaning and End of Religion* (New York, Macmillan, 1963).

[31] طه، أنيس مالك، **التعددية الدينية: رؤية إسلامية** (كوالالامبور: مركز البحوث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى، 2005). ص 89 فما بعد. بل إننا نجد أن أنيس مالك طه أطلق لفظ الاعتقاد على دين، مثلا يقول: "انطلاقا من عقيدته الهندوكية" وسياق الكلام عن غاندي، والشاهد هو في إطلاق العقيدة الهندوكية بدلا من الديانة الهندوكية، فلعل هذا يوحي بالترادف. أي الدين هو العقيدة وما يتبع، انظر المصدر نفسه، ص 134. وأصرح من كل هذا قوله: "العقيدة بالنسبة للدين، وأي دين، كالرأس بالنسبة للبدن. فلا دين بدون نظام من الاعتقادات." انظر المرجع نفسه، ص28.

[32] انظر: أنيس مالك طه، **التعددية الدينية**، ص89.

[33] انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية** (دمشق: دار الفكر، ط8، 1997). ص71.

[34] انظر: دراز، **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**. ص51.